ولا تقف ما ليس لك به علم

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(اسراء/36)**

حديثنا حول هذه الآية و فيها ذكر لسبب الندامة و الحسرة يوم القيامة ولا شك ان كل انسان انما يسعى لسعادته و نيل حسن العاقبة بحسب تصوره ،هو وغفلة الإنسان و جهل الإنسان يجعله يتخبط في ما يكون من شأنه الصلاح أو من شأنه الفساد و في ما من شأنه إصلاح آخرته وفي ما من شأنه إفساد الآخرة ،وربما افساد الدنيا أيضا.

**اولا) معاني الايه**

1. "و لا تقف ما ليس لك به علم" النهي في الآية يساوي التحريم

"ولا تقف ما ليس لك به علم" بمعنى أنه يحرم عليك أن تتبع ما ليس لك به علم من القاف تعني للاتباع و هنا توجيه للحظ على العلم الحق و اتباع أسباب تحصيل العلمي في كل مجال فلا يأتي بفعل او موقف إلا بحق فلا يذهب بأسباب توجب العلم غير الحق فلا يكون علما حينها و انما يكون وهما يتصور أنه علم والنتيجة هي المحاسبة لأدوات تحصيل العلم والاتباع على اثرها.

1. الانسان محاسب عن التعلم وعن ترك التعلم بهذه الحواس الله سبحانه وتعالى عندما أكرم الانسان واعطاه هذه الأمور و هذه الأدوات أوجب عليه الاستفادة منها فترك الاستفادة منها محاسب عليه و كل فعل يصدر مستندا الى هذه الادوات او الحواس يحاسب عليه الإنسان

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون" أوجد هذه الأدوات لينطلق الإنسان منها فيكون عالما و لا يأتي بفعل إلا أن يكون الفعل مستندا الى تلك المعرفة.

1. مصادر التعلم مهمه

" إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"

فلينظر الإنسان الى طعامه يقولون تفسرها الأحاديث فلينظر إلى علمه من أين يأخذ عليه أن يكون عالما وان يكون مصدر العلم ومصدر المعرفة مصدرا موثوقا صحيحا وإلا فهو غير مقبول.

1. طهارة الحواس مهمة، كما طهارة الباطن مهمة فالإنسان مطلوب منه ان تكون حواسه هو طاهرة لا تتعرض لمعصية لا في نظره و لا في سمعه و لا في قلبه ايضا ،فيجب ان يكون بصر طاهرا فلا يقعه على شيء محرم ويجب أن يكون السمع طاهرا فلا يسمع شيئا الا هو يكون مرضيا عند الله سبحانه و تعالى و القلب كذلك يجب أن يكون طاهرا فلا تنقدح فيه رغبات سيئة و لا طموح مرفوض وإنما ينقدح فيه الخير و الإيمان و المحبة و العدل و الإنصاف و كل شيء جميل.
2. ذكر الفؤاد في الآية فيها دلالة على المحاسبة عن الأعمال القلبية، القلب تنقدح فيها الأمور فكما أن الإنسان في أعماله يحاسب على أفعاله الجوارحية التي تنتسب لأدواته من اليد والرجل و السمع و البصر كذلك يحاسب على أفعال القلب بعض أفعال القلب يكون أشد موردا للمحاسبة من أفعال الظاهر أيضا

"كل اولئك كان عنه مسؤولا"

الإنسان مسؤول عن كل هذه الأدوات يوم القيامة او هي مسئولة يوم القيامة وهي تجيب و الله سبحانه وتعالى يسأل هذه الأعضاء وهي تجيب  "يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون" هي مسؤولة يوم القيامة وهو مسؤول عنها أيضا يوم القيامة.

1. ذكر السمع والبصر والفؤاد لانها امهات المدارك والمسئوليات عند الإنسان و ليست المسؤوليه حصرا فيها وإنما الانسان يسال عن ما حدث له من خلال هذه الأدوات من السمع أو البصر ومن الفؤاد و من كل شيء يتعرض اليه الانسان يحاسب عليه فلو التد بسمعه حوسب على سمعه كان حلال او حرام فلو تلدد ببصره فيحاسب عليه إن كان حلال او حرام  ولو حصل على معرفة أو علم عن هذه الأدوات يحاسب عليها و لو حصل عن غيرها ايضا يحاسب عليها وليس حصرا فيها و إنما هي مثال لامهات مصادر المعرفة عند الإنسان لذلك يقول تعالى

" ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد"

يعني يحاسب الإنسان على كل قول، فهل أنه إذا ارتكب معصية من غير قول الله يحاسب عليه يحاسب و انما هو مثال لامور قليله فيحاسب عليها فإذا كان يحاسب على قوله فما بالك بفعله فهو يحاسب على القول وعلى الفعل أيضا.

**ثانيا) الجهاله تساوي الضلال**

الایه تتحدث عن ضرورة ان يكون الانسان في هذه الأمور عالما يتبع المعرفة في كل شيء يرتبط بسمعه او بصره و ترحم عليه ان يتخذ اي خطوة في اي مجال من هذه المجالات من غير معرفه هنا نقول ايضا الجهالة تساوي الضلالة فإذا كان جاهلا غير عالما بما يفعل فهو في الضلال؛

1. عدم المحاسبة والوعي يجعل الإنسان في ضلال، إذا لم يكن على الدوام ينظر إلى أفعاله وينظر إلى أقواله وينظر إلى معارفه وينظر الى كل شيء يرتبط  به فهو في ضلال "قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا" ربما يخطر في بال احد انه يحسبون انهم يحسنون صنعا يعني هم يعتقدون و الله يحاسبهم على هذا الاعتقاد الباطل يحاسبون للتقصير أنهم لا يحاسبون أنفسهم فيعتقدون و ترسخ اعتقادات باطلة عندهم فيحاسبون عليها و تنكشف لهم يوم القيامة أنهم أضل الناس.
2. الغفلة و عدم اعطاء السمع والبصر والقلب وظيفتها، يهيا صاحبها لجهنم إذا كان الشخص غافلا و لا يعطي هذه الأمور وظيفتها الصحيحة البصر يجب أن يكون يعطي علما بما يبصر حقيقة و السمع يجب أن يعطي يقينا بما يسمع و القلب يجب أن يعطى اعتقادا صحيحا بما يجب أن يعتقد به و يجب أن يعطي محبة وعدلا و صدقا كما ينبغي فإن لم يكن كذلك ولم يعطى وظيفته كما هي فالنتيجة هي جهنم "ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون" هم الغافلون ماذا صنعوا؟ لم يعملوا بهذه الوظيفة لا تقول الآية تعني أنه لا يسمع باذنه و أنه لا يبصر بمعنى انه اعنى وانما لم يفعل في الواقع والحقيقه وظيفة السمع و لم يفعل في الواقع والحقيقه وظيفة الإبصار كان ينبغي للإنسان أن يحصل من خلال يسمعه على معرفة وعلم ويستمع ما هو خير لكنه لم يستمع كان بإمكانه أن يتعلم ويدرس الى غير ذلك ولكنه لم يحصل فصار جاهلا غافلا هنا الله سبحانه وتعالى يقول ذرأنا لجهنم لأنه لم يأخذ بما ينبغي ولم يعمل بوظيفته كما ينبغي له في هذه الاعضاء و في هذه الادوات التي أكرمه الله بها فجعل نفسه غافلا ضالا و نتيجته أن يكون لجهنم.

**ثالثا) مصاديق لما تنهى عنه الآية**

1. السمع و خطورته، أهمية أن يسمع الإنسان الأمر الحسن في مقدمة هذا الكلام نقول كل شيء تسمعه يطبع في النفس وكل شيء تراه من صورة تنطبع في النفس و كل معلومة تحصلها تنطبع في النفس يقولون و ان لم يكن الكلام دقيقا ولكن يقولون انها تشكل العقل الباطن عند الإنسان والكلام ليس دقيقا بدقته ولكن في شيء من الفائدة أن الإنسان يتأثر بما يقع في نفسه من علم ومعرفة وكما يقول المناطق بالنسبة  للتفكير التفكير عند الإنسان ماذا؟ هو أن يعرض المشكل الذي يواجهه على ما عنده من معلومات في عقله فيبحث عن حل هذا المشكل الذي يواجهه في ما يعلمه في نفسه إذا ما يعلمه الإنسان في خزينته المعرفية هو الذي يشكل القاعدة الأساس من انطلاقه في الحياة فمن جانب السمع والبصر كذلك ، فالسمع له خطوره كبيره لانه يشكل أكبر مدخل للمعرفة عند الإنسان ما يسمع مباشره و ما ينقل إليه وما يتعلمه فيه السخط و فيه خطأ فهو أساس في معرفة الإنسان، تعلم المعارف أمر مهم للإنسان عليه أن يتعلم لا يتعلم الشيء الفاسد إذا تعلم أو سمع شيئا فيه اشكال يجب عليه أن يسمع جوابه و يبحث عن الجواب لا … من السمع ناقصا في هذه الآونة مثلا تجد البعض و … الانفتاح و في بعض المراهقين  والمراهقات يستمعون بعض الاشكالات هنا او هنا فاذا سمعوا الاشكال على الدين على المعرفة الدينية على المرجع على العالم يتصورون انه نسف الدين لأنهم سمعوا إشكالات و الانسان مسؤول عن سمعه إذا سمعت شيء اسمع الحق فإذا سمعت الباطل ابحث عن جواب هذا الباطل ولا تتصور أن ما يطرح من ملاحظات أو اشكالات هي اخر شيء و انتهى او انها اسقطت العقيدة التي بنيت والتي اجاب علمائها على الاشكالات في أكثر من 1400 سنه لأنه سمع اشكال يتصور يقول لم نكن نلتفت لهذه الإشكالات و قد نسفوا كل ما يطرح من الإشكالات التي تراها حديثه أو تراها جديده طرحت في الكتب القديمة و اجاب عليها العلماء مفصلا وعليك ان تسمع و تقرأ فإذا سمعت اشكالا اسمع الجوال و لا تعش حالة الهلع لأنهم يقولون الآن وجدت إشكالات و أطروحات كثيرة وملاحظات كثيرة البعض يأخذ هذه الإشكالات البسيطة الساذجة على انها امر عظيم و أنه نسف الدين الإنسان يعطي من… جمله في هذا المجال مثلا البعض ممن جاء يشكل حتى على القرآن و قال القرآن تقولون كلام بديع و كلام الله اي كلام، كلام يقول ليس عليكم جناح أن تأكلوا اشتاتا مضمون الآية ياكل مع اناس او ياكل لوحده او ياكل في بيته او ياكل خارج بيته أو يدخل الى البيت و يستأذن البيت يقول اي بلاغة في القرآن  من الذي يتصور أنه هناك أشكال ان يأكل الشخص لوحده حتى تقول القرآن فيه بلاغة القرآن يقول ليس عليك اشكال ان تأكل وحدك ليس هناك أشكال ان تاكل مع اخرين يقول هذا الكلام ليس فيه بلاغة و ليس فيه شيء إذا القرآن كله خطب، و امثال ذلك يعني إذا ذكرنا مثال أو مثالين فقط الجواب انه انت لا تأخذ الإشكال هكذا أسمع الجواب أيضا القرآن تحدث عن مثلا هذه القضية و كانت لها أسباب نزول ابحث عن ما هو سبب النزول ماذا أجاب العلماء سبب النزول أنه مثلا في هذا المثال قبائل كانت من اعرافها أنه لو يجوع الشخص ويهلك نفسه بالجوع لا يأكل إلا مع احد و قبائل اخرى لا تأكل الا منفردا القران يعالج هذه  فقال ليس عليكم جناح كذا و كذا و فصل لهم يأتي شخص و يستشكل على قتل غلام الخضرة يقتل غلام فما هو إشكال في قتل الغلام قالوا طفل صغير انت لم تبحث ولم تدر باللغة و خصوصيات اللغة والقرآن لم يتحدث عنه هو طفل و إنما قال غلام والغلام يطلق على الكبير و كان قاطعا  للطريق  ولم يكن طفلا، اشكال يأتي شخص ويقول طوفان يأتي و يدمر الناس لأنهم لم يؤمنوا اليس فيهم أطفال؟ يغرقهم الله سبحانه وتعالى ابحث عن النفل التاريخي و ماذا كان الله سبحانه وتعالى جعله يرشد قومه ويوعظهم فلم يستجيبوا فاعقم النساء اربعين سنه فلم يبقى هناك صغير ثم يأتي عقوبة بعد الاصرار من الجميع على المعصية إذا الجواب عن كل إشكال تسمعه مهم السمع أنت مسؤول عنه و يجب عليك ان تحصل العلم من خلاله فلا تسمع هكذا المعارف مسؤولية الإنسان فليس من حقه يوم القيامة يقول لا أعلم لم اسمع حتى اذا را معصيه او را منكر ويقول لم أعلم يقال له الحديث مضمونه هل لا تعلم مسؤول عن هذه المعصية و مسؤول عن عدم التعلم فيها؛ السمع استماع اللغو والباطل حرام و يسأل عنه الإنسان يوم القيامة لا تتساهل لا تجعل اهلك يتسائلون وأنت مسؤول عن نفسك وعن اهلك في انقاذهم من اللغو والباطل و الغنى و كل معصية ترتبط بالسمع؛ الغيبة و البهتان الحديث عن الناس و عن تقييم الناس وأعراض الناس ليس من حق الانسان ان ياتي و يتحدث عن اعراض الناس او تقييم الناس و يقول هذا واقعهم لا ليس من حقك أن تتحدث هذا حرام بل هو تنزله الآية من حب إشاعة الفاحشة.
2. البصر وخطورته، كما في الحديث ربما نظرة أوجبت حسرة نظره تجعل الإنسان يتحسر و يخسر طوال حياته و يخسر آخرته غض البصر مهم "ذلك أزكى وأطهر" اطهر للانسان لانه لم تبقى في نفسه يقول البعض إذا انقدحت صورة محرمة في نفس الإنسان من الذي يزيلها لها أثر يبقى هذا الأثر في الإنسان و يضر بالاستقامة.
3. القلب وأهمية ما يقع فيه، القلب هو مبعث الأوامر والإرادات عند الإنسان لذلك يجب أن يكون طاهرا يحرس أن يكون قلبه طاهرا و يراقب القلب ليس فيه كدورة ليس فيه حسد ليس فيه حقد اعتقاداته طاهرا للقلب أعمال يحاسب عليه الإنسان كما مر:

* الاعتقادات الباطلة أو الحقة يحاسب عليها الانسان، "ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا" اشرك في اعتقاده في نفسه فقط هنا يحاسب عليه.
* الرضى والاطمئنان في القلب يحاسب عليه الإنسان فيكرم بالحق و يحاسب على الباطل " يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الى ربك راضيه مرضيه" الاطمئنان يجعل الإنسان يبشر يوم القيامة الرضى يكرم به الإنسان.
* المحبه من أفعال القلب، أيضا يحاسب عليه الإنسان محبة باطلة يحاسب عليه الإنسان ويعاقب عليها كأنه ارتكب الباطل "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون" يحبون أن تشيع الفاحشة لم يرتكب الفاحشة لكنه يحب و الله سبحانه و تعالى يحاسبه على هذا الحب، محبة الله ميزة بها يستخلف الله عباده في الدنيا والاخره " يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم" يحبون الله الله سبحانه و تعالى يكرمهم ويجعلهم البديل و المستخلف في هذه الأرض.
* الشك مرفوض و سوء الظن مرفوض، سوء الظن حرام و يحاسب عليه الإنسان "اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم" فكي لا يقع الإنسان في مخالفة الله ينهاه عن الظن حتى الظن الذي قد يكون حقا قل اجتنبوا كثيرا من الظن مادام ظنا ليس فيه خير وصالح الناس وإنما في استنقاصهم فاجتنبه حتى لو كان له واقع، الشك المجتمعي والأسري مرض ليس مطلوبا لأنه من سوء الظن و هو يدمر الأسرة يدمر المجتمع وإظهاره يدمر انت في أسرتك تتعامل مع زوجتك مع ابنتك إذا كنت تتعامل بالثقة المجتمع يكون سليما الأسرة تكون سليما إذا كنت تشك و تظهر الشك لزوجتك او ابنتك شخص يربي أولاده و يظهر الشك فيهم فهو يجرهم لما يشك فيه إذا كان يشك أنهم يرتكبون حراما كأنما يأخذ بيده الى الحرام مضمون بعض الاحاديث هكذا عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه مضمونا إذا شككت في شخص وكأنك أوقعته في ما تشك فيه حملته لانه يوعظ من الايحاء الايحاء و الاتهام يهيء بخلاف التشجيع وإظهار الصلاح و الثقة حتى انه اذا اردت ان تجعل شخصا امينا وتعلم انه فيه خلل في الامانه تعامل معه على أنه أمين و اعطيه الأمانة و قل له أنت أمين وانت الثقة يكن كذلك،  الاتباع بغير علم حرام الآية "ولا تقف ما ليس لك به علم" يجب ان تتبع بعلم وأن تنقل بعلم الآية تقول "ولاتقف" يعني و لا تتبع بأفعالك بغير علم ولا تقف و لا تتحدث في القفا وفي خلف أحد بغير علم يحرم على الإنسان أن يتحدث بغير علم و يجب عليه أن يراقب نفسه و يراقب قلبه احذر من مرض القلب احذر من أن يكون القلب مريضا "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا" من في قلبه مرض يتركه الله في مرضه إذا لم يرد صلاح نفسه "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة" اما الشخص الذي يلتفت الى نفسه فيكون النجاة في هذه الفترة و في دخولنا لاشهر العبادة والصلاح والإصلاح يجب على الإنسان أن يراقب نفسه ويطهر قلبه و يجعله يتوجه يوما بعد يوم و يزداد الله سبحانه وتعالى لا تسيطر عليه قسوة القلب اجعل القلب رقيقا متصلا بالله يحب الله ويحب العباده ويحب الطاعة لله سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين